

أنا لا أعرف ما عنده طفلك ولكني لست قلقاً

Autor: Juan José Jiménez García

Traductor: Maged Hussein Abdulrazzak. Pediatra A.P. Naval Moral de la Mata

في عيادة طب الأطفال يوجد أمر شائع جداً وهو أن نجد أنفسنا أمام الحالات التي ليس لدينا أي تفسير نهائي وقاطع لأعراض أو مجموعة من الأعراض.

إن هذا قد يحير ويقلق الآباء والأمهات أمام هذا الارتباك والتردد لعدم معرفة ما يحدث بالضبط للطفل، لماذا؟ وكيف ستتطور هذه الأعراض. إن هذه الحالة ستبرز عندهم شعوراً بعدم الارتياح والتوتر وعدم الهدوء.

إن عمل طبيب الأطفال في هذه الحالات هو تقييم الأعراض المشار إليها من قبل الأطفال وأولياء أمورهم، ومعرفة الخلفية وعوامل الخطر المحتملة عندهم وإجراء الفحص البدني تفصيلاً. مع هذه المعلومات، وبناءً على الاستنتاجات بمعرفتهم المهنية والخبرة يقرر الطبيب ما إذا كان ممكناً من إجراء تشخيص دقيق وعلاج محدد، إذا وجد، أو إذا كان أكثر ملاءماً للطفل هو إجراء اختبارات إضافية أو مشاورات مع الاختصاصيين لتوضيح الصورة.

ومع ذلك، فإن الأكثر شيوعاً هو أن طبيب الأطفال لا يفعل شيئاً واحداً أو آخر. فمن النادر أن طبيب الأطفال في الرعاية الأولية يلجأ إلى اختبارات أو مشاورات في المستشفى لكي

يتأكد من التشخيص المشتبه به أو السعي إلى التشخيص الذي لا يمكن أن يصل إليه بالوسائل الموجودة تحت تصرفه في العيادة. في نفس الوقت، من المدهش، إبلاغ أولياء الأمور أنه على الرغم من عدم التأكد ما لديه الطفل من الأفضل الانتظار وعدم فعل شيئاً إلا عند الضرورة لتخفيف الأعراض والآنزجاج. لهذا ان اطباء الاطفال نادرا ما يقدمون التشخيص النهائي، وعادة يتحدثون عن الاحتمالات بمصطلحات مثل: "من المرجح أن يكون ... ، "الأعراض متوافقة مع ..."، " ... ربما فيروس" أو "من الطبيعي أن تختفي قريباً".

ولحسن الحظ، فإن معظم المشاكل الصحية التي عند الأطفال في منطقتنا والذين تابعوا برنامج الرقابة الصحية للوقاية الشاملة حتى من قبل الولادة، والذين حصلوا على التطعيمات الموصى بها، هي مبتدلة وحلها عفوي مع مرور الوقت.

الطبيب يعرف متى يجب أن لا ننتظر لنرى التطور الطبيعي للحالة المرضية وما هي البيانات والمواقف التي تجعله يفكر بان العوارض عند الطفل بالرغم من عدم وجود التشخيص تبدو كمرض خطير ، أو عدم التدخل في الوقت المناسب للبحث عن التشخيص الصحيح أو العلاج المبكر قد تنطوي على تغيير سلبي أو يكون لها عواقب ضارة للطفل.

ان طبيب الأطفال يقرر دائما ما هو في رأيه أفضل للطفل. إذا كان هذا عبر اختبارات ومشاورات مع المتخصصين فسيفعله على الفور. ولكن في معظم الاحيان أفضل شيء للطفل هو ان

لا يخضع لهذه المعاناة والتحليل التي لا لزوم لها، لأن التطور العادي لمعظم هذه الحالات هو أنها سوف تُحل بشكل طبيعي. أيضا لا بد من اعتبار الازعاج للعائلة لدخولهم في دائرة التحليل، التجارب، الذهاب للعيادات والمستشفى الخ ، إذا لم يتوقع فائدة واضحة للطفل من كل هذا. ناهيك عن النفقات غير الضرورية للنظام الصحي والأسر [التغيب عن العمل، والنقل]

أحيانا ليس من السهل الانتظار امام الطفل الذي عنده أعراض مزعجة مثل الحمى والألم أو القيء، والآباء والأمهات يطفى عليهم الشعور بعدم بذل الجهود الكافية أو احتمال أن يحدث اي شئ دون أن يلاحظها أحد منهم وايضا طبيب الأطفال ، أو ان هذا الانتظار يبدو طويلاً جدا امام الحالات التي سوف يكون حل المشكلة لن يحدث في فترة قصيرة من الوقت، كالتملك على بعض جوانب التطور والنمو الحركي والنفسي أو اللغة، أو آلام البطن المتكررة، أو حب الشباب البسيط عند المراهق.

ولكن الحياة اليومية تتشكل الى حد كبير بالانتظار. الدورات الطبيعية تستغرق وقتها، ومعظم الأحداث لا يمكن وضعها في عجلة السرعة. علاوة على ذلك، في هذه الحياة ليس لدينا عمليا الأمن على الإطلاق. عندما نغادر المنزل لا نعرف عند العودة اذا دخلوا المنزل لسرقته، وعندما نبدأ رحلة في السيارة لا نعرف متى سوف نصل إلى المكان المعين بالوقت المقدر بسبب الازدحام أو عطل. ايضاً عند الذهاب ابنا إلى

المدرسة أو رحلة فأننا لا نعرف ما إذا سوف يتصلوا بنا لوجود حادث.

يجب علينا أن نتعلم كيف نعيش مع عدم التيقن يومياً، بصرف النظر عن الأكثر عمقا وجوديا. ان تربية الأطفال مثل العيش والجري خطر مستمر، ولكنه مثير ورائع. لا أحد يستطيع أن يضمن أي شيء، لا الصحة أو الرفاهية أو السعادة.

ولكن يجب علينا أن لا نتوقف عن فعل كل ما هو ممكن لتحقيق هذه الأهداف، ووضع كل جهدنا لعدم ترك الأمر للصدفة على ما يمكن السيطرة عليه، مع العلم أن كل شيء ليس سهل السيطرة. نتعلم ان نعيش بطريقة سعيدة وبنقطة التحدي للعيش مع عدم التيقن وتمكن السيطرة على كل شيء، لعدم معرفة كيف سيكون حل مرض الابن أو أي قضية أخرى.

هكذا نتمكن من التمتع برؤية نمو أطفالنا بدون ألم ومعاناة لعدم المعرفة على وجه اليقين ماذا سيحدث مع هذه المشكلة الصحية لابننا، أو حياته في المستقبل

هكذا يجب ان لا نشعر بالذعر، بل على العكس تماما، عندما نسمع الطبيب يقول :

"أنا لا أعرف ما عنده طفلك ولكني لست قلقاً"